خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

خير أمة

الحلقة (11)

الرفق

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (١١)

الرفق

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

دخل أحد الأعراب الإســلام، وجاء ليصــلى في المســجد مع الرســول صلى اللَّه عليه وسلم، فوقف في جانب المســجد، وتبول، فقام إليه الصــحابة، وأرادوا أن يضــربوه، فقال لهم النبي صــلى اللَّه عليه وسلم: (دعوه، وأريقوا على بوله ذنوبًا من ماء -أو ســجلاً (دلوًا) من ماء- فإنما بعثتم مُيســرِّين، ولم تبعثوا مُعَســرِّين) [البخاري].

***

ما هو الرفق؟

الرفق هو التلطف في الأمور، والبعد عن العنف والشــدة والغلظة. وقد أمر اللَّه بالتحلي بخلق الرفق في سائر الأمور، فقال: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: {ولا تســتوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم}.

[فصلت: ٣٤].

رفق النبي صلى اللَّه عليه وسلم:

كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم أرفق الناس وألينهم.. أتى إليه أعرابي، وطلب منه عطاءً، وأغلظ له في القول، فتبســم النبي صــلى اللَّه عليه وسلم في وجهه، ثم أعطاه حمولة جملين من الطعام والشراب، وكان الرسول صلى اللَّه عليه وسلم يلاعب الحسن والحسين ويقبِّلهما، ويحملهما على كتفه.

وتحكي الســيدة عائشــة -رضي اللَّه عنها- عن رفق النبي صلى اللَّه عليه وسلم فتقول: ما خُيرَ رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تُنْتَهَك حرمة اللَّه؛ فينتقم للَّه -تعالى- . [متفق عليه]. وكان النبي صــلى اللَّه عليه وســلم يقول لأصــحابه: (يسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولا تُنَفِّروا) [متفق عليه].

أنواع الرفق:

الرفق خلق عظيم، وما وُجِدَ في شــيء إلا حَسَّنَه وزَيَّنَه، قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه (حسنه وجمله)، ولا يُنْزَعُ من شيء إلا شانه (عابه) [مسلم].

ومن أشكال الرفق التي يجب على المسلم أن يتحلى بها:

الرفق بالناس: فالمســلم لا يعامل الناس بشدة أو عنف أو جفاء، وقد كان الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أبعد ما يكون عن الغلظة والشــدة، قال تعالى: {ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضــوا من حولك} [آل عمران: ١٥٩]. وقد جاء رجل إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم فقال: أوصني؟ فقال له: (لا تغضب) [البخاري].

والمسلم لا يُعَير الناس بما فيهم من عيوب، بل يرفق بهم، رُوي أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: (لا تُظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه اللَّه ويبتليك (أي: يصيبك بمثل ما أصابه) [الترمذي].

والمسلم لا يسب الناس، ولا يشتمهم، وقد حذَّر النبي صلى اللَّه عليه وسلم من ذلك فقال: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) [متفق عليه].

الرفق بالخدم: كان رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم رفيقًا بالخدم، وأمر من عنده خادم أن يطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا يكلفه ما لا يطيق، فإن كلَّفه ما لا يطيق فعليه أن يعينه. يقول صلى اللَّه عليه وسلم في حق الخدم: (من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعْتِقَه (يجعله حرًّا) [مسلم].

الرفق بالحيوانات: نهى الإسلام عن تعذيب الحيوانات والطيور وكل شيء فيه روح، وقد مَرَّ أنس بن مالك على قوم نصبوا أمامهم دجاجة، وجعلوها هدفًا لهم، وأخذوا يرمونها بالحجارة، فقال أنس: نهى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أن تُصْبَرَ البهائم (أي تحبس وتعذب وتقيد وترمي حتى الموت). [مسلم].

ومَرَّ ابن عمر –رضي اللَّه عنه– على فتيان من قريش، وقد وضعوا أمامهم طيرًا، وأخذوا يرمونه بالنبال، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال لهم: مَنْ فعل هذا؟ لعن اللَّه من فعل هذا، إن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لعن من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا (هدفًا يرميه). [مسلم].

ومن الرفق بالحيوان ذبحه بسكين حاد حتى لا يتعذب، يقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (إن اللَّه كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم (أي: في الحروب) فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ولْيُحِدَّ أحدُكم شَفْرَتَه (السكينة التي يذبح بها)، ولْيُرِحْ ذبيحته) [متفق عليه]. وقد بين النبي صلى اللَّه عليه وسلم أن اللَّه سبحانه قد غفر لرجل؛ لأنه سقى كلبًا كاد يموت من العطش. بينما دخلت امرأة النار؛ لأنها حبست قطة، فلم تطعمها ولم تَسْقِهَا حتى ماتت.

الرفق بالجمادات: المسلم رفيق مع كل شيء، حتى مع الجمادات، فيحافظ على أدواته، ويتعامل مع كل ما حوله بلين ورفق، ولا يعرضها للتلف بسبب سوء الاستعمال والإهمال.

فضل الرفق:

حثَّ النبي صلى اللَّه عليه وسلم على الرفق، فقال: (إن اللَّه رفيق يحب الرفق في الأمر كله) [متفق عليه]، وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إن اللَّه رفيق، يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه) [مسلم].

والمسلم برفقه ولينه يصير بعيداً عن النار، ويكون من أهل الجنة، قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (ألا أخبركم بمن يحْرُم على النار؟ أو بمن تَحْرُم عليه النار؟ تَحْرُم النار على كل قريب هين لين سهل) [الترمذي وأحمد].

وإذا كان المسلم رفيقًا مع الناس، فإن اللَّه –سبحانه– سيرفق به يوم القيامة، وكان النبي صلى اللَّه عليه وسلم يدعو، فيقول: (اللهم مَنْ وَلِي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به) [مسلم].